المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

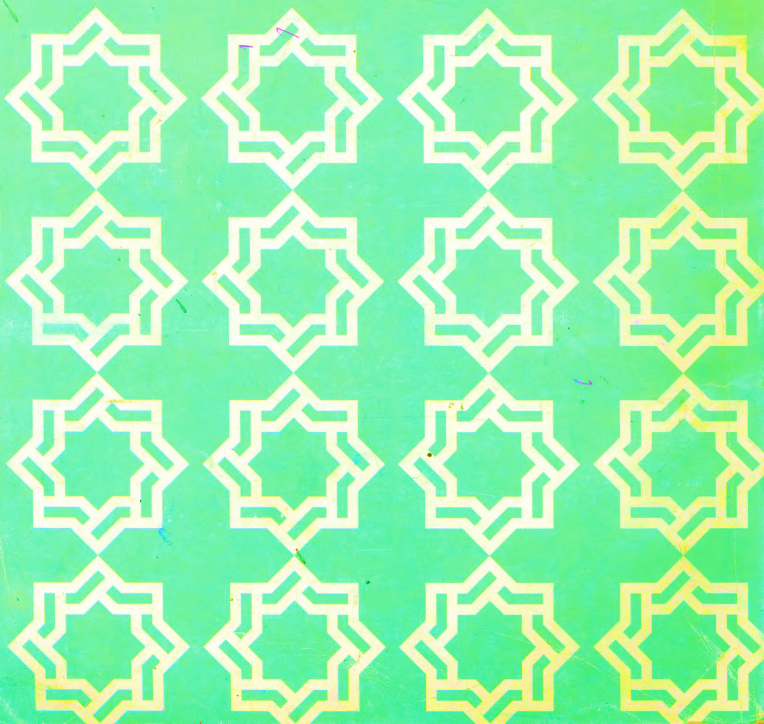

الأخفش وعروض الخليل

بقلم

محمد حسين آل ياسين

ماجستير آداب في اللغة العربية ـ بغداد

المشهور تاريخيا أن عروض الخليل قد وصلنا عن طريق الأخفش سعيد بن مسعدة ، كما كان هو نفسه الطريق الوحيد الى كتاب سيبويه ، حيث أن سيبويه كان قد أودع عنده نسخته الوحيدة من الكتاب قبل سفره الى فارس الذي توفي فيه وبعد عودته من بغداد حيث تمت المناظرة الزنبورية بينه وبين الكسائي ، ليأخذ الأخفش بوحي من هذا الكتاب حقه هناك . وذاع الكتاب بعد الأخفش عن طريق الجرمي والمازني الذين درساه على الأخفش لقاء أجر ، بعد أن خافا أن يدّعيه ، والخبر فى ذلك معروف متواتر في اكثر الكتب التي ترجمت للأخفش والجرمي والمازني ، وكانا هما الطريق الى انتشاره بين الدارسين بعد ذلك .

ونحن الآن امام مسألة مهمة هي : كيف كان الأخفش ـ ايضا ـ الطريق الى عروض الخليل وليس بين ايدينا كتاب للخليل في العروض . وليس هناك ذكر لتملك الأخفش نسخة من كتاب فى العروض . فكيف وصل اذن ؟ هل وصل عن طريق تلمذة الأخفش للخليل ان كانت هناك تلمذة ، أو عن طريق آخر؟

اما تلمذة الأخفش للخليل فليس هناك ما يؤيد وقوعها في اي شكل من الاشكال ، ولا فى اي علم من العلوم ، لا في العروض ولا في غيره من علوم العربية . وانما هناك اجماع يثبت التلمذة لسيبويه والأخذ عنه بشكل مفصل . يقول القفطي فى انباه الرواة : « والأخفش احذق اصحاب سيبويه وهو أسنّ منه ، ولقي من لقيه من العلماء الا الخليل »(١) ، كما يقول السيوطي فى بغية الوعاة : « قرأ النحو على سيبويه وكان أسنّ منه ، ولم يأخذ عن الخليل »(٢) ، ويؤيد ذلك ابو الطيب اللغوي في مراتب النحويين بعد اسناد الخبر الى المبرّد يقول : « كان الأخفش أسن من سيبويه ولكن لم لم يأخذ عن الخليل »(٣) .

على أن هناك روايات استشعر منها بعض الباحثين وجود هذه التلمذة ، كتلك التي ذكرها ياقوت في الارشاد وفيها سند للأخفش نفسه اذ يروي قصة حضوره مجلس الخليل وعدم فهمه سؤال سيبويه وجواب الخليل ، ووقوفه لسيبويه في الطريق الى آخر تلك الرواية(٤) . فهي مع ذلك لا تقوم دليلا على التلمذة بالمعنى الذي نريده هنا ، فلا يبعد أن يكون حضوره مجلس الخليل هذا قد كان مصادفة ولمرة واحدة ، ولم يكررها . خصوصا وان الرواية نفسها تشجع على هذا الذي نقول ، فهو لم يفهم شيئا مما دار بين الخليل وسيبويه .

واما من قال بالتلمذة غير ياقوت كثعلب والسيوطي (فى قول آخر) والمرزباني والزبيدي فانهم قالوا ذلك معتمدين على ما سمعوه من انه درس على من درس عليه سيبويه دون استثناء للخليل كما مرّ بنا في الروايات لسابقة التي استثنت الخليل منهم ، فهم نقلوا هذه العبارة واحداً عن واحد ورددوها دون نظر وتمحيص .

نضيف الى ذلك ما أورده صاحب طبقات النحويين وهو يتحدث عن علي بن نصر الجهضمي حيث يقول بعد اسناد الرواية : « سمعت الأخفش يقول : نفذ من اصحاب الخليل في النحو اربعة :

---

(١) انباه الرواة : للقفطي ـ تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم . ط ١ مطبعة دار الكتب ج ١ ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) بغية الوعاة : للسيوطي ط ١ ـ القاهرة ص ٢٥٨ .

(٣) مراتب النحويين : لأبي الطيب اللغوي ص ٦٨ .

(٤) ارشاد الاريب (معجم الادباء) : لياقوت الحموي ج ١٦ ص ١٢٥ .

سيبويه والنضر بن شميل وعلي بن نصر ومؤرج السدوسي »(٥) . كما أورد الخبر نفسه صاحب نزهة الالباء باضافة ان يحيى بن اكثم سأل الأخفش عمّن نجم من اصحاب الخليل فأجابه بهذا دون ذكر علي بن نصر(٦) .

والرواية بهذه الصورة تعطينا دليلا آخر على ان الأخفش لم يكن في عداد اصحاب الخليل ولا من تلاميذه ، لانه لو كان لعدّ نفسه واحداً ممن نفذ منهم على اقل الفروض ، وهو الذي عهدناه مباهيا مفتخرا انه اعلم من سيبويه حيث يقول : « وهو يرى ـ اي سيبويه ـ اني اعلم منه ، وكان اعلم مني وانا اليوم اعلم منه »(٧) ، فكان طبيعيا ـ لو كان من أصحاب الخليل ـ ان يقول مثلا : نجم من اصحاب الخليل اربعة : فلان وفلان وفلان وانا . وعدا هذا فان الخبر في النزهة كان بشكل سؤال وجهه يحيى بن اكثم عمن برز من اصحاب الخليل ، ولو كان الاخفش واحداً منهم لكانت صيغة السؤال اشعرت بذلك كأن يكون : من نجم معك أو من زملائك اصحاب الخليل . ولكن السؤال لم يكن كذلك لأن السائل يعلم انه لم يكن من أصحاب الخليل . ولكن قد يعترض معترض فيقول : اذن لماذا سأل الاخفش، اذا لم يكن الاخفش أحد أصحاب الخليل ؟ والجواب على ذلك هو أن الاخفش كان على صلة بأصحاب الخليل ، وخصوصا سيبويه الذي كان هو أسن منه . فكان معاصرا لهم ومتصلا بهم ، وهو أولى من غيره بجواب هذا السؤال .

نخلص من كل هذا الى القول بنفي التلمذة للخليل وبعدم الأخذ عنه أي شيء سواء كان نحوا أو لغة أو عروضا ، بالرغم من محاولة بعض الباحثين المحدثين التوفيق بين الأخبار التي نفت التلمذة عنه صراحة وتلك التي تقول أخذ عمن أخذ عنه سيبويه ، بأن الاخفش قد أخذ العروض عن الخليل ولم يأخذ النحو(٨) . وهي منهم محاولة علمية لتبرير وصول عروض الخليل عن طريق الأخفش لأنه الطريق الوحيد كما قلنا سابقا . وهي مردودة بعدم وجود أي نوع من الاخذ كما وصلنا الى ذلك ، ولابد أن يكون قد أخذ العروض عن طريق آخر غير الخليل ، وهو الواسطة بين الخليل وبينه.

(٥) طبقات النحويين ص ٧٨ .
(٦) نزهة الالباء ص ٩٠ ط ١ .
(٧) طبقات النحويين ص ٦٧ . وانباه الرواة ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٨) كالدكتور المخزومي في (الخليل) ورجع عن ذلك في بحث آخر ، والمرحوم الاستاذ كمال ابراهيم في (محاضراته) ، والدكتورة خديجة الحديثي في كتابها عن كتاب سيبويه ، والسيد عبدالامير الورد في رسالته عن الاخفش .

ولمعرفة ذلك ينبغي ان نعرف من هو استاذ الاخفش المهم الذي هو تلميذ الخليل المهم .

ولا نحتاج لكبير عناء لمعرفة من هو الواسطة هذا ، فقد كفتنا كل المصادر هذه المؤونة ، اذ انه سيبويه ولا احد غيره ، والاخفش هو احذق واعلم من اخذ عن سيبويه ، والاخفش ايضا الطريق الى كتاب سيبويه وعلمه ، يقول الانباري في النزهة يتحدث عن الاخفش : « وكان أعلم من أخذ عن سيبويه ... وهو الطريق الى كتاب سيبويه لأنا لم نعلم احدا قراه على سيبويه ، وما قراه سيبويه على احد . وانما لما توفي سيبويه قرىء الكتاب على الاخفش »(٩) ، وقد قال بهذه التلمذة ـ تلمذة الأخفش لسيبويه ـ كل من قال ومن لم يقل بتلمذة للخليل ، كابن النديم في الفهرست(١٠) ، والقفطي في انباه الرواة(١١) ، والسيرافي في أخبار النحويين حيث اضاف : « .. قريء الكتاب على الأخفش ، وكان ممن قراه الجرمي والمازني(١٢) » . وهذه المسألة ـ كما قدمنا ـ لا تحتاج الى اثبات وانما هناك اجماع عليها ، وغير هذه الكتب التي ذكرنا كثير ذكر أن سيبويه هو الاستاذ المباشر والمشرف على الاخفش ، ولا ادل على ذلك من ايداع سيبويه نسخة (الكتاب) الوحيدة لدى الاخفش وطلبه منه ان يأخذ بحقه في بغداد بعد خذلانه في المناظرة المعروفة .

فاذا كان الامر كذلك ، فلا يبعد ـ بعد ذلك ـ أن يكون سيبويه الذي سمع من الخليل ودرس عليه وأخذ عنه ، ان يقوم مع الاخفش مقام الخليل معه ، فيدرسه النحو واللغة والعروض والرواية وغير ذلك مما تشبع به وامتلأ منه عندما كان تلميذا للخليل ، ويكون واضحا الان أن الاخفش درس العروض على سيبويه فيما درس ، وعندما وقفت الصدفة الى جانب الاخفش في سفر سيبويه الى فارس ووفاته هناك كان هو الطريق الوحيد الى العروض ، كما كان هو الطريق الوحيد الى (الكتاب)، ولو لم يغب سيبويه عن الميدان لكان هو الطريق الطبيعي والوحيد لعروض الخليل الذي اخذه مباشرة عنه .

كما لا يبعد أن يكون سيبويه قد أودع عنده كتابا في العروض سجل فيه ملاحظات الخليل وآرائه ومناقشاته معه كما فعل في النحو اذ وضع «الكتاب»،

(٩) نزهة الالباء ط ١ ص ٩٢ .
(١٠) الفهرست ص ٧٨ .
(١١) انباه الرواة ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٨ .
(١٢) اخبار النحويين ص ٣٩ .

ولكن الناس في ذلك الوقت كانوا مشغولين بالنحو واللغة ايما شغل ، ومشغوفين بهما ، ولم يكن العروض لينال منهم ذلك الاهتمام ، وهو بعد حديث النشأة غريب الدرس ، فلم يعيروا له اهتماما ولم يأبهوا ان كان هناك كتاب يقرأ في العروض او لم يكن . فكان ذلك مدعاة حرص شديد من الاخفش على اخفائه تماما ، تمهيدا لادعائه واظهاره بين الناس على انه صاحب الكتاب ، كما حاول مع كتاب سيبويه من قبل ، الا ان هذا الاخير كان له الناس بالمرصاد ينتظرونه بفارغ الصبر ، فلم تكن محاولة ادعائه بالامر الهين ، لا سيما وقد ذهب الى الاخفش من يطلب منه ان يقراه عليه ففشا وذاع ، وظل كتاب العروض ـ الذي نرجح وجوده عنده ـ طي الحفظ، حتى راينا ان للاخفش بين الناس كتابين اولهما كتاب (القوافي) والثاني كتاب (العروض) ـ والمصادر تذكرهما على انهما كتاب واحد ، والظاهر انهما كتابان ـ سنعود اليهما بعد قليل .

اما مسالة نحو الاخفش ـ وان كانت ليست من موضوع بحثنا الرئيس ـ فهي شديدة الصلة به ، لا سيما بعد ان عرفنا انه الطريق الى كتاب سيبويه وانه درسه للجرمي والمازني وغيرهما ، وتستوقفنا خلال البحث بعض الروايات عن الاخفش يحاول بها اضفاء صفة العلم والاستاذية على نفسه، تغطية لما كان يعرف عنه من ضعف في فهم المسائل النحوية في اول تلمذته لسيبويه ، وعدم ادراكه تعويصها ومعقدها من جهة ، وسترا لمحاولات الادعاء والسرقة اللتين اتهم بهما في بعض مؤلفاته من جهة اخرى . فقد زعم الاخفش ان الكسائي قد طلب منه ان يدرس عليه (الكتاب) مقابل خمسين او سبعين دينارا فدرسه اياه(١٣) ، كما قال انه اعلم من سيبويه الان ـ كما مر بنا في الرواية ـ وان سيبويه اذا وضع شيئا من (كتابه) عرضه علي(١٤) ، وغير ذلك مما كان يحيط به نفسه من علم ، وهو الذي مر بنا انه لم يفهم مما دار بين سيبويه والخليل في المسالة النحوية التي سأل سيبويه الخليل اياها ووقوفه لسيبويه في الطريق مستفهما وجواب سيبويه القاسي الى آخر تلك الرواية(١٥) ، ثم لما جاء الى سيبويه مناظرا قال مامعناه : اني اردت ان استفيد ولم أجيء مناظرا . وكان جواب سيبويه له بأنه لا يشك في هذا .

هذا يعطينا صورة عن مستوى الاخفش الذهني وقابليته العقلية على تفهم الدرس النحوي وتقبل مشكلاته لذلك اشاع عن نفسه ما يستر عليه هذا الضعف ويخفف وطأته عليه ، علما بأن الاخفش لم يعرف نحويا الا بعد قدومه بغداد ، فتاريخه العلمي قبلها غامض ومهمل في كتب التراجم .

وبهذا ايضا نستطيع ان نفسر ما قاله ابو حاتم السجستاني عن كتاب الاخفش في النحو ـ الذي يرجح السيد عبدالامير الورد في رسالته عن الاخفش انه كتاب الاوسط في النحو(١٦) ـ في كتابه عن القراءات حيث ذكر القراء والعلماء : « كان في المدينة علي الجمل كان يلقب بالجمل ، وضع كتابا في النحو لم يكن شيئا فذهب، واظن الاخفش سعيد بن مسعدة وضع كتابه في النحو من كتاب الجمل ، ولذلك قال الزيت رطلان بدرهم . والزيت لايذكر عندنا ، لانه ليس بأدام لأهل البصرة(١٧) » . وبالرغم مما نأخذه على هذه الرواية من ان السجستاني قال (اظن)ولم يدع العلم بذلك ، وان السجستاني يختلف مع الاخفش عقيدة ومذهبا ، وما أخذه السيد الورد أن الزيت معروف لأهل البصرة اداما في رواية ذكرها . اقول بالرغم من ذلك فاننا نميل الى تصديق الرواية لان في خلق الاخفش ومستواه الذهني مايشجعنا على تصديقها ، فهي ليست الاولى وليست الاخيرة في سلسلة ادعاءاته وسرقاته ، فقد سبقتها محاولة ادعاء (الكتاب) ولحقتها سرقاته من كتاب ابي عبيدة في (مجاز القرآن) الذي وضع بعد ان غير فيه شيئا كتابه (معاني القرآن) ، حيث يروي السجستاني نفسه : « كان الاخفش قد اخذ كتاب ابي عبيدة في القرآن ، فأسقط منه شيئا وزاد شيئا وابدل منه شيئا ، قال ابو حاتم فقلت له : اي شيء هذا الذي تصنع ، من أعرف بالغريب انت أو ابو عبيدة فقال : ابو عبيدة . فقلت هذا الذي تصنع ليس بشيء . فقال : الكتاب لمن اصلحه وليس لمن افسده . قال : ابو حاتم : فلم يلتفت الى كتابه وصار مطروحا » (١٨) فالكتاب في راي الاخفش اذن لمن : اصلحه وليس لمن أفسده وان لم يكن هو واضعه .

ومما يزيدنا ثقة بصحة هذه الروايات عن السجستاني انه لم يكن يغمط حق الاخفش ، ان كان هناك ما يوجب عدم الغمط . فقد وجدناه معترفا للاخفش بما كان يستحق من الاعتراف ، ينقل السيرافي في اخبار النحويين في ترجمة ابي حاتم مانصه : « قال ابو العباس : وسمعته ـ اي ابا حاتم ـ

(١٣) اخبار النحويين ص ٤٠ .
(١٤) طبقات النحويين ص ٦٧ وانباه الرواة ج ٢ ص ٣٥٠ .
(١٥) ارشاد الاريب ج ١٦ ص ١٢٥ .
(١٦) منهج الاخفش (رسالة ماجستير) ص ١٢٨ .
(١٧) انباه الرواة ج ٢ ص ٣٨ وطبقات النحويين ص ٧٥ .
(١٨) انباه الرواة ج ٢ ص ٣٧ وطبقات النحويين ص ٧٤ـ٧٥ .

يقول : قرات كتاب سيبويه على الاخفش مرتين ... وكان حسن العلم بالعروض واخراج المعمى » (١٩) ، فلو كان السجستاني يريد سلب الاخفش ما كان يحسنه من العلم لسلبه (حسن العلم بالعروض واخراج المعمى) ولكنه لم يفعل لانه كان صادقا ولم يؤثر عنه الكذب . وينقل صاحب طبقات النحويين عن الصولي قوله : « فلما رايت بعد ذلك ديوان مسائل الاخفش وعليه بخط خيران : اربعة دنانير . وعليه بخط احمد بن يحيى : كتبت الى ابي حاتم السجستاني ان ينسخ لى مسائل الاخفش كلها في النحو ، فوجه الي بهذه النسخة واعلمني انه لم تبق له مسالة الا وهي فى هذا الكتاب ... » (٢٠) اذن فالسجستاني لايحمل (حقدا) على الاخفش كما عبر السيد الورد في رسالته . فهو يجمع مسائله في النحو ويبوبها ويجعلها كتابا يبعث به الى من يرغب بـه ، وهو يدرس عليه كتاب سيبويه ، ويقر له بالعروض والمعمى . فتكون اقواله السابقة فى سرقات الاخفش صحيحة نسلم بها ، لانها صدرت عن ثقة درس على الاخفش ولم (يحقد) عليه .

عرضنا لذلك لنعرف ان نحويا امره هكذا في النحو : يحاول ادعاء كتاب سيبويه مرة ، ويسرق كتاب علي الجمل مرة ، ويغير كتاب أبي عبيدةويدعيه مرة اخرى ، اقول لابد ان يكون أمره فى غير النحو كذلك ، اذ لا يمكن ان يسلك في النحو وهو الشائع المعروف مسلكا يختلف عن مسلكه في العروض ، ولو ان القدامى اهتموا بأمر العروض اهتمامهم بالنحو واللغة والقرآن لوصلت إلينا عنهم أقوال مشابهة في سرقات الأخفش فيه .

نعود الان لكتابي الاخفش في العروض الذين ذكرناهما : كتاب العروض وكتاب القوافى ، لنرى مدى صحة ما نظنه فيهما . فكتاب (العروض) مخطوط ويحتفظ السيد عبدالامير الـورد بنسخة مصورة منه ، فيه ذكر للخليل أحدى عشرة مرة نقل فيها راي الخليل بالواسطة ، كان يقول حدثني من أثق به عن الخليل أو غير هذه العبارة مما يشير الى انه لم يشافه الخليل براى من آرائه ، كما لم يذكر فيه الخبب الذي يروي الجميع ان الاخفش تداركه على الخليل (٢١) ولا يفوتنا ان نذكر أن الدكتور المخزومي عرض لموضوع تدارك الاخفش للخبب على الخليل واثبت عدم تداركه وأن الخليل قد عده في بحوره ، بعد دراسة لدوائر الخليل العروضية (٢٢) لا مجال في هذا البحث لبسطها .

اما كتاب (القوافى) فهو مطبوع ، وقد احصيت فيه ذكر الخليل ، فاذا هو عشرون مرة ، وليس فيها مرة واحدة تشعر باخذه مباشرة عن الخليل ايضا ، وانما هي بالواسطة كذلك ، كان يقول : زعموا انه قال ، او كان يقول ، أو حدثني من أثق بهعن الخليل . وذكر الخليل في الكتابين بهذا الشكل دليل قاطع نضيفه الى ادلتنا السابقة بعدم اخذه عن الخليل ودراسته عليه حتى العروض الذي قال به بعض الباحثين المحدثين كما مر . فهو ــ كما يظهر فى هذين الكتابين ــ آخذ اراء الخليل ، اما من كتاب أو من استاذ نقل له هذه الاراء مباشرة .

ومنذ عرفنا ان سيبويه هو الاستاذ الاكبر للاخفش ، وعنه اخذ الاخفش النحو وعليه درس ، وانه الطريق الى كتابه ، كان لابد ان نضع سيبويه نصب أعيننا ونحن نترصد آراء الاخفش واقواله . ومنذ ان شككنا أن يكون سيبويه قد اودع لدى الاخفش كتابا في العروض أو املاءات الخليل في العروض ، كان لابد لنا ايضا ان نرجع الى مايتوفر تحت أيدينا مما قد أودع فعلا وهو (الكتاب) لعل فيه بصيصا يهدي ويقنع ويثبتالتهمة التي وجهناها للاخفش ، ويكون هو دليلا على ما نتوقعه من وجود كتاب مستقل فى العروض ادعاه الاخفش وضاع مؤلفه الحقيقي .

ومن حسنات المصادفات ان يكون سيبويه قد ضمن (كتابه) الذي كرسه للنحو والصرف ، بابين: الاول يتحدث به عن (وجوه القوافي فى الانشاد) ، والثاني يتحدث به (عما يحتمله الشعر) . وقد رجعت اليهما فتذكرت وانا اقرا ماكنت قد قرأته بنفس الموضوع في كتاب (القوافي) للاخفش ، وبعد مقارنة عاجلة اتضح ان مادة العروض فى هذين البابين من كتاب سيبويه هي التي اعتمد عليها الاخفش فى كتابه (القوافي) اعتمادا كليا ، اذ ينقل في بعضالاحيان الفكرة والشاهد ، حتى انه يدرج الكلام بنصه دون اشارة .

وفي هذا ما يؤيد زعمنا انه كان يمتلك الاوراق الاصلية التي تركها عنده سيبويه ، خصوصا اني وجدت سيبويه يقول فىآخر (باب ما يحتملالشعر) مانصه : « وما يجوز فى الشعر اكثر من ان اذكره لك ههنا ، لان هذا موضع جمل وسنبين ذلك فيما يستقبل ان شاء الله » (٢٣) ، فهذا الكتاب هو موضع

---

(١٩) اخبار النحويين ص ٧٠ .
(٢٠) طبقات النحويين ص ١٦٦ (ترجمة ثعلب) .
(٢١) منهج الأخفش (الرسالة) ص ١٢٤ .
(٢٢) الخليل بن احمد الفراهيدي (رسالة ماجستير) ص١٨٨ .
(٢٣) الكتاب ج ١ ص ١٣ .

جمل لا موضع عروض ، وهو انما يدرس هنا النحو لا ما يحتمل الشعر ، وهو سيبين ذلك في كتاب آخر يكتبه فيما يستقبل ، اي بعد هذا الكتاب . وهذا الذي ذكره اشارة لما سيكتب بالتفصيل ، وهو لم يذكر موضوع ما يحتمل الشعر مرة اخرى في الكتاب كله ، لانه مدخر لكتاب آخر .

اذن كان هذا الكتاب بحوزة الاخفش ايضا وقد تسلمه مع الكتاب الاول ، وقد نسبه لنفسه واخرجه للناس ، ونقوله عن (كتاب) سيبويه في القافية والشعر تنير الطريق لنا اكثر فى هذا الزعم وتقربه مما حدث فعلا . ولابد لنا لاثبات انه اخذ عن كتاب سيبويه وادخله فى الاصل ان نورد بعض الامثلة :

١ ــ يقول سيبويه في (باب مايحتمل الشعر) « وربما مدوا مثل مساجد ومنابر فيقولون مساجيد ومنابير ، شبهوه بما جمع على غير واحده في الكلام كما قال الفرزدق :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة
نفي الدنانير تنقاد الصياريف »

ثم يستطرد فيقول : « لانهم قد يثقلونه فى الوقف فاثبتوه في الوصل كما اثبتوا الحذف في قوله (لنفسه مقنعا) (٢٤) وانما حذفه في الوقف . قال رؤبة :

ضخم يحب الخلق الأضخمّا

يروى بكسر الهمزة وفتحها . وقال بعضهم: الضِخمّا بكسر الضاد »(٢٥) .

ويقول الاخفش في (باب التقييد والاطلاق) : « جعلوه كأحرف تزاد فى الكلام مثل ما يلحق من الياء للمد مما لم يكن في الكلام ، قال الشاعر :

تنفي يداها الحصى فى كل هاجرة
نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

فكما زيدت هذه الياء فكذلك بيت التثقيل . .

ثم قال :

ثمت جئت حية أصما
ضخما يحب الخلق الاضخما

وسمعت من العرب من يقول : الضخما يريد الضخم ، فهذا أشد لانه حرك الخاء وثقل الميم »(٢٦)

٢ ــ يقول سيبويه في (باب وجوه القوافي فى الانشاد) : « أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الالف والياء والواو مايكون ومالا ينون ، لانهم ارادوا مد الصوت وذلك قوله (وهو امرؤ القيس) :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي » (٢٧)

ويقول الاخفش في (باب اجماع العرب فى الانشاد واختلافها) : « اما اذا ارادوا الحداء والغناء والترنم، فان كلهم يتبع الروي المضمون واوا والمفتوح الفا والمكسور ياء والساكن اذا كان مطلقا ياء فى الوقف والوصل ، فيما ينون منه ومالا ينون . فمن ذلك قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي »(٢٨)

٣ ــ يقول سيبويه في (باب وجوه القوافي فى الانشاد) : « وانما الحقوا هذه المدة في حروف الروي لان الشعر وضع للغناء والترنم ، فالحقوا كل حرف الذي حركته منه . فاذا انشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة اوجه : اما اهل الحجاز فيدعون هذه القوافى مانون منها ومالم ينون على حالها فى الترنم ، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للغناء . واما ناس كثير من بني تميم فانهم يبدلون مكان المدة النون . . الخ » (٢٩)

ويقول الاخفش في (باب اجماع العرب في الانشاد واختلافها) : « وانما الحقوا هذه الحروف التي يجرى فيها الصوت اذا ارادوا الترنم، لان الصوت لايجري في غيرها . فلما ارادوا الترنم الحقوا هذه الحروف التي يجرى فيها الصوت . فاما اذا لم يريدوا الترنم : فاهل الحجاز يتركونه على حاله فى الترنم ليفصلوا الشعر من غيره ، واما ناس كثير من تميم وقيس فانهم اذا لم يريدوا الترنم جعلوا الذي يلحقون نونا . . » (٣٠) .

٤ ــ يقول سيبويه فى (باب وجوه القوافي في الانشاد) : « واعلم ان الياآت والواوات اللواتي هن لامات اذا كان ماقبلها حرف الروي فعل بها ما فعل بالياء والواو اللتين الحقتا للمد في القوافى ، لانها تكون في المدة بمنزلة الملحقة ويكون ما قبلها رويا كما كان ما قبل تلك رويا ، فلما ساوتها في هذه المنزلة الحقت بها فى هذه المنزلة الاخرى وذلك قولهم (لزهير) :

وبعض القوم يخلق ثم لا يفر

وكذلك يغزو لو كانت فى قافية كنت حاذفها ان شئت . . . » (٣١)

ويقول الاخفش في (باب مايكون رويا من الياء والواو والالف) : « اعلم ان الياء والواو والالف اذا

---

(٢٤) اشارة الى شاهد سابق مختوم بهذا والشاهد مثبت في ١٠/١ من الكتاب .
(٢٥) الكتاب ج ١ ص ١١ .
(٢٦) القوافي ص ٩١ ــ ٩٢ .
(٢٧) الكتاب ج ٢ ص ٢٩٨ .
(٢٨) القوافي ص ١٠٤ .
(٢٩) الكتاب ج ٢ ص ٢٩٩ .
(٣٠) القوافي ص ١٠٥ .
(٣١) الكتاب ج ٢ ص ٣٠٠ .

كن من الاصل ، وكانت الياء والواو ساكنتين او متحركتين جعلن رويا . وكذلك الزوائد اذا بنين مع الكلمة . اما اللواتي من الاصل فياء يرمي ويقضي وواو يغزو ويدعو والف قضى ورمى . والزوائد اللاتي بنين مع الكلمة نحو الف بشرى ومعزى .... فكل هؤلاء يجعلن حرفا للروي . وان شئت لم يجعلن رويا ، وشبهتهن بالياء والواو والالف اللاتي هن مدات .. قال الشاعر :

ولانت تفري ماخلقت وبعـ
ض القوم يخلق ثم لايفري»(٣٢)

٥ ــ يقول سيبويه في (باب وجوه القوافي فى الانشاد) : « وانما الحقوا هذه المدة فى حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم ، فالحقوا كل حرف الذى حركته منه .... فان يجروا القوافي مجراها. لو كانت فى الكلام ولم تكن قوافي شعر جعلوه كالكلام حيث لم يترنموا وتركوا المدة لعلمهم انها في اصل البناء . سمعناهم يقولون لجرير :

اقلي اللوم عاذل والعتـاب

ويقولون :

قد رابني حفص فحرك حفصا

يثبتون الالف لانها كذلك فى الكلام ... »(٣٣)

ويقول الاخفش في (باب مالايكون رويا) : «اعلم ان الالف والياء والواو اذا كانتا مدتين وكن زوائد يتبعن ماقبلهن ، ولم يكن لهن اصول في الكلام فانهن لايكن رويا ابدا . نحو قول الشاعر :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقوله :

قد رابني حفص فحـدث حفصا

واعلم ان كل ياء وواو والف تحذف فى الوقف فانها لاتكون رويا ابدا ... نحو قوله :

اقلي اللوم عاذل والعتـاب

وقولي ان اصبت لقد اصاب

وانما منعهن ان يكن رويا انهن ليس لهن اصول في الكلام . وإنما هن مزيدات على ماقبلهن لتمـام الشعر . وانما زادوهن من بين الحروف لان الشعر وضع للغناء والترنم .. »(٣٤)

هذه الامثلة من النقل المباشر وغير المباشر عن (الكتاب) كافية لاثبات قالتنا ان الاخفش استقى علمـه فى العـروض عن سيبويه لامن احد سواه خصوصا وانه ليس في ايدينا ما هو اقدم من كتاب سيبويه يمكن أن يكون مصـــدرا للاخفش . والا لوجدنا نقولا اخرى عن كتب اخرى .

نخلص الى ان الاخفش تلمذ في العروض لسيبويه لا للخليل وانه تلمذ له فى النحو واللغـة كذلك . فسيبويه هو استاذه المباشر وهو الطريق الى الخليل او بعبارة اخرى هو الحلقة المفقودة بين الخليل ــ مستنبط العروض بحوره الستة عشر جميعا ــ وبين الاخفش طريق الدارسين الى هذا العروض .

ومهما يكن من امر فان المسألة تحتاج الى بحث اعمق ودرس اوفى ، خصوصا بعـد ان يرى كتاب الاخفش (العروض) النور ، لنرى بوضوح مصادره ورواته واسـانيده . وليكـون الحـكم اقرب الى الصواب(٣٥) .

(٣٢) القوافي ص ٦٩ .
(٣٣) الكتاب ج ٢ ص ٢٩٩ ــ ٣٠٠ .
(٣٤) القوافي ص ٧٧ ــ ٧٨ .

(٣٥) صدر بعد كتابة هذا البحث باكثر من سنة كتاب استاذنا العلامة الدكتور مهدي المخـزومي (عبقري من البصرة) وفيه من التفصيل ما لا غنى للباحث في هذا الموضوع عنـــه .

قائمة باهم المصادر والمراجع

١ ــ انباه الرواة للقفطي تحقيق محمد ابي الفضـل ابراهيم ط دار الكتب القاهرة ١٩٥٢م .
٢ ــ ارشاد الاريب (معجم الادباء) لياقوت الحموي ط دار المامون القاهرة ١٩٣٦م .
٣ ــ بغية الوعاة للسيوطي ط ١ القاهرة سنة ١٣٢٦هـ .
٤ ــ مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم مطبعة نهضة مصر ١٩٥٥م .
٥ ــ نزهة الالباء لابن الانباري تحقيق الدكتور ابراهيـــم السامرائي بغداد ط ١ ١٩٥٩م .
٦ ــ طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيـــق محمد أبي الفضل ابراهيم ط القاهرة ١٩٥٤م .
٧ ــ المزهر في علوم اللغة للسيوطي تحقيق محمد أحمد جـــاد المولى ط ١ القاهرة .
٨ ــ المقتبس (نور القبس من المقتبس) لليغموري تحقيـــق زلهايم ط فيسبادن ١٩٦٤م .
٩ ــ مجالس ثعلب لثعلب ط دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٤٨م
١٠ــ الفهرست لابن النديم ط القاهرة .
١١ــ اخبار النحويين البصريين : للسيرافي تحقيق طه محمـــد الزيني ط ١ القاهرة ١٩٥٥م .
١٢ــ الكتاب لسيبويه ط ١ المطبعة الاميرية ببولاق ١٣١٦هـ .
١٣ــ القوافي للاخفش تحقيق عزة حسن ط ١ دمشق ١٩٧٠م .
١٤ــ الخليل بن احمد الفراهيدي للدكتور مهدي المخزومي ط مطبعة الزهراء بغداد ١٩٦٠م .
١٥ــ منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية لعبد الامير الورد ــ رسالة ماجستير (طبع رونيو) بغداد ١٩٧٠م .
١٦ــ ابنية الصرف في كتاب سيبويه : للدكتورة خديجة الحديثي ط بغداد ١٩٦٥م .
١٧ــ عبقري من البصرة للدكتور مهدي المخزومي ط وزارة الاعلام ببغداد ١٩٧٢م .